فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ نقل كلام المخالفين أو المبطلين ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء في دمشق

حضرة مولانا أوحد الاعلام نفع الله بعلمه الأنام

اطلعت على كتاب لاحد علماء فاس ينتقد فيه ما جاء في مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (صحيفة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة) من نقله مذهب الغلاة والخوارج ، ومقالة أبي القاسم البلخي في عبد الله بن الزبير (في الصفحة نفسها) يقول الفاسي : سبحانك هذا بهتان عظيم ، نقبح الله قائله فكيف يليق نقل هذه العبارة ونشرها بين أهل الاسلام والزمان كما ترى ، وأهله الى ورا (ثم قال الفاسي) ولما ذكر العلامة الابي في شرح صحيح مسلم ما ذكره أهل السير من الامور التي نقمت على سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته . قال العلامة السنوسي في اختصاره ما نصه : قلت وقد نقل الأبي هنا كلاما في عثمان رضي الله عنه لا يحل له أن يفوه به ولا أن يكتبه وأخاف أن لا يفي بسيئه حسنة ما تعب في تأليفه كله فنعوذ بالله من سوء الادب في حق الطاهرين المطهرين ، واسأل الله لي وله العفو والصفح والمغفرة والواجب على من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه بلا شك وبالله التوفيق اه كلام السنوسي

فهل من ملام على امام ينقل مذاهب الفرق وأقوالها ومعتقداتها وما تدين الله به مما تراه حقاً وصوابا وطاعة مشياً مع اجتهادها وما أداه اليه نظرها

وهل يلام من ينشرها ويعد مسيء الادب مع انه أوردها ايقافاً على المذاهب والآراء ، واراءة لوجوه الخلاف ، وارشاداً لمواضع الشبه التي منها أتي من أتى

وهل السنوسي مستند في حظر التفوه به وكتابته وعده سيئة وجريمة تحبط عمل المؤلف في تأليفه كله

وهل يسلم له دعواه وجوب حذف مثل ذلك من التآليف حتى يفتح باب التلاعب في مؤلفات الاعلام بالحذف والزيادة والنقص ؟ وكان السنوسي لم يرَ كتب المقالات والمؤلفات في الملل والنحل لمثل الامام أبي منصور البغدادي وللامام ابن حزم والشهرستاني وأمثال ما جاء في آخر المواقف للعضد . فما سبب هذا الجمود ونبذ مشرب سلفنا المحققين

وهل هذا يؤيد ما يرمي به القطر المغربي من التعصب الذي سبب له ما سبب مما حاق به ويحيق

وقد اطلعت على جواب كتبه بعض الاساتذة عندنا الا أني رغبت أن ازداد من العلم فيما يهم الوقوف عليه من ذلك لذا أرجو شرح هذا والتفضل بجوابه لازلتم مظهراً للافادة ، وكوكبا في أفق الفضل

حامد بن أديب

الشهير بالتقي

(ج) تختلف آراء الناس باختلاف معارفهم ومشاربهم ، وحال الذين يعيشون معهم ، حتى ان الرجلين ليحكمان في مسألة واحدة بحكمين مختلفين ، أو يريان فيها رأيين متضادين ، وكل منها صحيح القصد ، متوخ للمصلحة والنفع ، وربما يرد كل منهما على الآخر ويقع التعادي بينهما أو بين أنصارهما فيصدق على كل من الفريقين أنه يجاهد في غير عدو . ومن هذا الباب وضع بعض علماء السلف الصالحين لعلم الكلام وردهم على المبتدعة ، وانكار آخرين عليهم وعد علمهم بدعة ضارة ، حتى قال بعضهم لبعض : ويحك ألست تحكي بدعتهم ثم ترد عليها ؟ أي ان ذلك كاف في ذم علم الكلام وتحريم التأليف فيه لئلا يرى البدعة من لم يكن يدري بها

إني أرى ما قاله العالم المغربي المشار اليه في السؤال وما نقله عن السنوسي يدخل في هذا الباب ، على أن السنوسي من المصنفين في علم الكلام الذين نقلوا عقائد الكفار والمبتدعة وردوا عليها

لو كان ذلك المغربي عائشاً في مصر أو الشام أو الاستانة أو تونس يرى كتب الملاحدة والنصارى في مدح دينهم والطعن في غيره ، ويرى جرائدهم منشورة متداولة أيضا لما تهيج عصبه وتميغ دمه لجملة أو جمل قرأها في شرح نهج البلاغة لبعض فرق المسلمين . وسيرى في بلاده وقد أوقعها الجهل والتعصب المألوف في قبضة فرنسة ما يهون بالاضافة اليه

كل ما رآه في شرح نهج البلاغة مخالفا لرأيه ومذهبه، سيرى الكتب الكثيرة في الطعن في نص القرآن العظيم، والنبي الكريم، عليه الصلاة والتسليم، والكتب الداعية الى الالحاد، المؤلفة لهدم كل اعتقاد، وسيرى ان شبهات هذه الكتب ومشاغبات دعاة النصرانية من جهة ودعاة الالحاد والتفرنج من أخرى قد راجت في اذهان بعض قومه، وان كشفها بالتسليم لقول امثاله من العلماء العاصرين، أو التقليد لما في بعض كتب المبتين، غاية لا تدرك، وأمنية لا تنال

ان اطلاع العوام والطلاب المبتدئين على العقائد الباطلة ومقالات المبتدعة، لا ينكر ضرره، ولا تؤمن فتنته، كاطلاعهم على سيرة أهل الفسق والفجور، وطول استماعهم لما يزينها للنفوس، كالاشعار والاغاني المشتملة على المجون، فاذا كنا لا نستطيع منع اقتنان أولادنا وعوامنا بالباطل الا بازالته وازالة أهله من الارض، ولا منعهم من الفسق الا باعدام كل مبذولة العرض، فما نحن بحافظيهم من الكفر ولا من الفسق

ان الله تعالى — وهو العزيز الحكيم — قد حكى في كتابه المجيد كفر الكافرين والحادهم في آياته، وطعنهم في كتابه ورسوله، ولم يمحهم بقدرته من الارض ليحمي المؤمنين من أباطيلهم، ويحول بينهم وبين شرورهم، وهكذا فعل حماة الدين، وحراس عقيدة التوحيد، نقلوا عقائد المخالفين ومقالاتهم وردوا عليها بالدلائل

انما يشتد النكير على من يكتب ما يخالف عقيدته أو مذهبه أحد رجلين رجل شديد التعصب لما هو عليه، يرى أنه يجب على جميع الناس موافقته فيه، وان يتبرءوا من أتباعهم، ويقلدوا من قلدهم، ورجل حريص على عقيدته ومذهبه، وهو على غير بصيرة منه، ولا ثقة به، فهو يخاف ان تطير به كل ريح، وان تذهب به كل شبهة، ولا يليق هذا الضيق في الذرع، والحرج في الصدر، بالمسلم البصير في دينه، المعتصم بيقينه، وهو يعتقد ان الحق يعلو ولا يعلى، وانه متى جاء الحق زهق الباطل، وان الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق، وان بقاء الباطل في نومة الحق عنه، وانما اللائق بصاحب هذا الحق واليقين ان يقذف بحقه على باطل غيره ليدمغه، لا ان يشكو منه ويلعن من قاله أو كتبه، ويوجب تحريقه والتصرف فيه

من الصواب أن نمنع أولادنا وتلاميذنا من قراءة كل ما نعتقد انه ضار أو باطل الى أن تكمل تربيتهم وتعليمهم ونثق بمعرفتهم للحق، واستقلال عقولهم في الحكم، واذاً نبيح لهم أن يقرأوا ما أحبوا فلا خوف من الباطل الضعيف اللجلج، على الحق القوي الأبلج، لان الحق هو صاحب السلطان والفلج، ومن الصواب أن ننصح

للعوام بأن يحاموا كتب الكافرين والمبتدعين حفظاً لأذهانهم من الاضطراب ، ونأيا بنفوسهم عن مهاب الاهواء ، وأن نرشد محبي المطالعة منهم الى الكتب النافعة لهم ، التي لا تفسد عليهم نعمة الطمأنينة ، وهي النعمة التي لا تساميها نعمة

لنا أن نفتي بهذا وذاك ، وأن نجعل لما نكتبه أو نطبعه حواشي ننبه بها على مواضع الخطأ والصواب ، وليس لنا أن نطلق القول في تحريم قراءة كل ما يخالف اعتقادنا وحرمة كتابته وطبعه ، ولا ان ننقل كلام مؤلف فننقص منه أو نزيد فيه ، فان هذا من الكذب والخيانة ، وان قوماً يأتونه أو يستحلونه لا يثق أحد بنقلهم ، ومن زعم أن هذا جائز في الشرع فقد أهان الشرع ، وصد عنه جميع العقلاء من الخلق ، وجعله دينا خاصاً ببعض البلداء ، ووقفاً على من تلقنه من الجهلاء ، وان كان لا يقصد شيئاً من هذه المفاسد . وياللعجب من شدة جراة المتحمسين على التحريم ، والافتيات على الدين بقصد حماية الدين

لو جرى المتكلمون والمؤرخون ونقلة اللغة ورواة الاخبار والآثار على فتوى السنوسي والغربي لبطلت ثقتنا وثقة جميع الناس بجميع العلوم النقلية لجواز ان يكون كل ناقل قد حذف من منقوله شيئا مما يخالف اعتقاده أو يرى نشره ضارا ببعض أهل مذهبه ونحلته ، او حرفه واستبدل به غيره ، وحينئذ لا يبقى عند المسلمين شيء يمكن أن يحتج به أحد على أحد الا القرآن الكريم وما عساه يوجد من حديث متواتر مجمع على تواتره . فظهر مما تقدم ان السنوسي مخطئ في تحريمه النقوه بما قاله أهل السير في عثمان وكتابته ، وفي إيجابه على من نقل كتابا فيه شيء من ذلك أن يحذفه منه ، فاننا نقرأ في كتاب الله مثل قوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدّا » وقوله جل ذكره « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » وقوله تبارك اسمه « وقالوا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤا ظلماً وزورا » وقوله صدق وعده « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والشواهد على هذا كثيرة . وليست حكاية الطعن في عثمان وهو غير معصوم بأعظم من حكاية هذه الاقوال . والمسألة واضحة ، وهذا ما رأينا في كتابته من العبرة والفائدة

* * *

﴿ أسئلة من الهند ﴾

(س ٢ ـ ٥) من صاحب الامضاء في بومباي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم صاحب المنار المنير دام اقباله

ثم سلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فقد اطلعت على الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لمنارکم المنير ورأيت في باب الفتاوى السؤال الذي هو لأحد أبناء البلاد العربية في صدد (الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر) والجواب عليه من علماء الازهر الشريف مع تذييلكم عليه بما فيه من التشديد والتكير على الاطلاق وتكفير فاعله ومن حضره(١) . فعجبت جداً لهذا الجواب الذي لا يشوبه أدنى ريب لان أمثال هذا في نواحينا كثير، والعلماء أكثر، وكلهم من شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي يجوز ذلك ويعده من الشعائر الدينية . والحقيقة ياسيدي أن الانسان ليحار جداً وتكاد تشكل عليه أمور دينه من حيث ان الازهريين ومن أشرت اليهم من علمائنا كل منهم مقلد لمذهب من هذه المذاهب ومع ذلك نرى الفرق كبيراً بين ما يقوله هؤلاء وأولئك من جواز وتحريم فليت شعري ما هذا الخلاف وما هذا الاشكال ؟ وليت شعري كم لمالك من مذهب وكم للشافعي وأخويه من مذاهب ؟ أرشدونا الى الطريق القويم أرشدكم الله الى خير الدارين ؟ ثم يقول الاساتذة الازهريون (وأما تنشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله الا أهل الفسق والفلال ـ الى قولهم ـ قال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات وسماعها لقوله عليه الصلاة والسلام (ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) اني أسلم بتحريم النغمات اذا كان يراد منها الاشعار المحدثة والنغمات المطربة ، ولكن ما قول سيدي الاستاذ في خطابة الجمعة وتلاوة القرآن الكريم حيث ان الاتين لا يتلوان الا بالالحان كما لا يخفاكم ، فهل هذا الفسق والنفاق والكفر نتناول هذين أم لا ؟ واذا كان ذلك فما هو ذنب من حضره أعني السامع وما هو الا متبع ومقلد ، كما ان

(١) ليس في تلك الفتوى تكفير كما قال ، وتذييلنا هناك فيه تخفيف ما وعبارته توهم ان التشديد والتكفير في تذييلنا تبعا او استقلالا

الخطيب في نواحينا وسائر الاقطار الاسلامية الا القليل لا يدعى خطيبا الا اذا كان ذا صوت جميل وكذلك تالي القرآن الحكيم فما هو قولكم في ذلك ؟ وما هو معنى قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أجيبونا عن ذلك وسامحني يا سيدي اذا أخذت جانباً من وقتكم النفيس أدامكم الله سراج هدى يهتدي به من ضل عن محجة الصواب واقبلوا في الختام فائق احترام المخلص

ناصر مبارك الخيري

﴿ أجوبة المنار عن هذه الاسئلة ﴾

المذاهب واختلاف فقهائها

اعلم يا أخي أن المجتهد لا يكون له في المسألة الا رأي واحد ومن نقل عنه قولان أو أكثر في مسألة واحدة فاما أن يكون قد قال أحدهما في وقت ثم رجع عنه فقال القول الآخر في وقت آخر واما أن يكون النقل عنه غير صحيح ، والمسائل التي يتردد فيها ليس له فيها رأي

والمذهب له في عرف الناس اطلاقان ، عامي وخاصي (فالاول) هو نقل الاحكام التي قررها أو أفتى بها المجتهد فمن عرفها وعمل بها من غير وقوف على دليل المجتهد عليها واقتناعه به يسمى مقلداً له ، وهذا هو معنى المذهب الذي يدعيه الآن جميع المنتسبين الى المذاهب لانهم يظنون أن ما يقوله فقهاء مذاهبهم وما هو منقول في كتبهم كله مروي عن أئمتهم ، وان هؤلاء الفقهاء لاحظ لهم منه الا نقله وتحريره ، وعلى هذا ينتج تعجبكم من تناقض فقهاء كل مذهب في المسألة الواحدة . والصواب انه يقل في هؤلاء الفقهاء من اطلع على كتاب للامام الذي يدعي انه درس فقهه أو قرأ شيئاً مما نقله عنه تلاميذه ككتاب الام للشافعي والمدونة لمالك وكتب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله ورضي عنهم ، وانما قرأوا بعض كتب المتأخرين التي سنذكرها وصف أصحابها ، وما فهموها حق فهمها ، وكلهم يتجرأ على الفتيا فتختلف فتاواهم ، وتتناقض آراؤهم ، وفي كل قطر أفراد منهم ، يثق بهم عوام بلادهم ، كما هي عادة جميع العوام من جميع الملل مع رؤسائهم ، يقلدونهم كيفما كانوا ومهما كانت درجة علمهم أو جهلهم ، فان قاعدة التقليد والاتباع هي أن يثق الادنى بمن هو أرقى منه ولو في القراءة والكتابة مطلقا فالامي يرى متعلم القراءة أو الكتابة أرقى منه وان كان عامياً مثله . وكل هؤلاء المقلدين عاميهم ومتفقههم وفقيههم (ان وجد) ينسبون كل ما يفتون به الى أئمة المذاهب ويتعززون بأسمائهم ويتخذون هذه الاسماء أتراساً

وعجائًا يدافعون بها كل من يتصدى لارشاد العامة وينهاها عن البدع والخرافات ، بل يتخذونها سلاحاً يحاربون به السنة وأنصارها

الاطلاق الثاني هو بمعنى مايسمونه الآن بالمسلك والمبدأ وهو طريقة المجتهد في استنباطه للاحكام وأصوله التي يفرع عنها كما بين ذلك في علم الاصول ، وهذا هو المعنى الذي كان يقصده أصحاب أولئك الائمة من الانتماء اليهم في عصرهم . ولم يكن أصحابهم مقلدين لهم يأخذون كلامهم قضايا مسلمة بغير دليل بل تعلموا منهم الاستدلال ، وقلوا عنهم علمهم ليكون مثالا يحتذى في استنباط الاحكام ، كما صرح بذلك المزني صاحب الشافعي في أول مختصره إذ قال « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع اعلامي نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه »

ثم جرى على ذلك من بعدهم من العلماء ووسموا دائرة الاجتهاد والاستنباط على ذلك النحو والمذهب ، ثم خلف من بعد هؤلاء خلف رضوا أن يكونوا عيالا على من قبلهم واستنبطوا الاحكام من عباراتهم ، وفشت بدعة التقليد والاخذ بقول من يوثق بشهرته من غير دليل ، وما زال الناس يتدلون الى أن وصلوا الى قرار الهوة التي تعجب السائل من اضطرابهم واختلافهم فيها . وسننشر ان شاء الله تعالى في جزء قال جملة مفيدة في هذا البحث عن كتاب الارشاد للعماد السكري رحمه الله تعالى

وجملة القول ان سبب اختلاف من يسمونهم الفقهاء من أهل المذهب الواحد هو انهم ليسوا ملتزمين للنقل عن امام أو علم معين كما هو مقتضى التقليد الذي يدعونه ولا جارين على أصول واحدة في الاجتهاد الذي يأتونه وينكرونه ، فلا عجب اذاً في اختلافهم واضطرابهم ، ولا عبرة في دعواهم الانتساب الى أولئك الأئمة رضي الله عنهم

وههنا مسئلة ينبغي التفطن لها وهي دعوى المقلدين ان فائدة التقليد منع تشعب الخلاف في عامة الامة ، وخاصة اذا حصر في عدد قليل كالاربعة . وهذه الدعوى ممنوعة لافي مجموع المذاهب فقط بل في مقلدة كل مذهب مذهب أيضاً كما بين السائل ، وكما هو مشاهد لكل ناظر ، وسبب ذلك انه لم يتفق للمنتمين الى مذهب من المذاهب المشهورة ، المنتشرة في أقطار كثيرة ، أن يتفقوا على دراسة كتاب أو كتب معينة ويعملوا بها على سواء ، سواء كانت كتب إمام ذلك المذهب أو كتب بعض المؤلفين المنتمين اليه ، وانما ينبغون في كل قطر من تصدروا فيهم للتعليم والفتوى فيحرمون ما حرموا عليهم ، ويحلون ما أحلوا لهم ، ويجرون على ما أقروهم عليه من البدع ،

ويتركون ما تركوا من السنن ، وهؤلاء المتصدرون يتفاوتون في علمهم واجتهادهم — وكل منهم يجتهد في الوقائع التي تحدث في عصره ، وان أنكر الاجتهاد بلسانه وقلمه ، وانما ينكره على غيره اذا خالف هواه فيه — ولذلك تتفاوت أعمال المتدينين لهم

وثم مسألة أخرى يغفل عنها الناس وهي ان علم الفتوى عند كثير من المتفقهة في أكثر البلاد الاسلامية لا صلة له بالعمل ، فترى أحدهم يحضر الدعوات والاحتفالات التي تؤتى فيها البدع والمنكرات ، ويجيء أهلها ويدعو لهم ، ولا ينكر عليهم شيئاً من عملهم ، ولكنه قد يقرر في الدرس أو يكتب في الفتوى أو المصنفات ان هذه الاشياء من البدع والمنكرات ، وربما يصفها بأنها مما عمت به البلوى ، ومنها ما يحاولون له التأويل ، ومنها ما لا يجدون له تأويلا ، فاذا فطن السائل لما ذكرنا يذهب تعجبه ويزول استغرابه مما ذكره . وسيرى في الفتوى السادسة بعد هذه ان بعضهم أحل أكل أموال المعاهدين والمستأمنين ولو بالخيانة والسرقة ، وهذا من أغرب شواهد المسألتين

ويدلنا ما ذكر على أن الهداية التي يجب الرجوع اليها اذا اختلفت الأدلاء وهي الامر على الناس ، هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في العمل بهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

انشاد الشعر بالنغمات

اذا حكمنا كتاب الله وسنة رسوله (ص) في هذه المسألة لا نجد فيهما دليلاً على تحريم انشاد الشعر بالنغمات والحديث الذي ذكروه لا يصح فقد رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم قال النووي انه متفق على ضعفه . وقد فصلنا القول في هذه المسألة تفصيلا في الجزء الاول وما بعده من مجلد المنار التاسع وفيه ان الغناء قد يحرم حرمة عارضة ويكره الاستكثار منه ولكن الاصل فيه الاباحة . ويستحب في الزفاف والعيد وعند قدوم المسافر كما بيناه هنالك فلا هو فسق ولا كفر ولا نفاق

الخطبة بالالحان والسنة فيها

روى مسلم وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم مساكم » الحديث فهذه هي السنة في كيفية اداء الخطبة وهذا

ما يرجى به التأثير والاتعاظ بها التي شرعت لاجله، وكل اداء يخالفه فهو مكروه وأشده كراهة تكلف الالحان والنغمات فيها كما يفعله بعض الترك وغيرهم، واذا قيل بحرمة هذه الالحان والنغمات الموسيقية في الخطبة لم يكن بعيداً لانه على مخالفته للسنة الصحيحة تشبه بالكفار في خطبهم الدينية وعبادتهم ولو من بعض الوجوه فان لم يكن تشبها لاشتراط القصد في معنى التشبه كان تركا لما امرنا به من مخالفتهم في أمثال هذه الامور ، ولما أمر النبي (ص) بصيام عاشوراء وقيل له ان اليهود تصومه امر بمخالفتهم بصيام يوم قبله او بعده ، ولأنه مفوت لحكمة الدين في الخطبة وهو الزجر المؤثر في القلوب ، والوعظ الذي يزع النفوس ، وهذه النغمات من اللهو الذي ترتاح اليه النفوس وتستلذه ، وترويح النفوس بالمباح غير محظور ولكن الخطبة لم تشرع له ، والمساجد لم تبن لاجله . وقد صارت الخطبة في اكثر البلاد الاسلامية رسوما تقليدية مؤلفة من أسجاع متكلفة كسجع الكهان ، وتؤدي بنغمات موقعة كنغمات القسوس والرهبان ، وقد قارب السنة فيها بعض الخطباء المصريين والسوريين ، ولم أر خطيبا ذكرني خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة . زارني سيد عراقي مثل لي تحريض العرب على القتال بخطبة تضطرب لها القلوب ، وتثير كوامن الحمية والنجدة من قرارات النفوس ،

تلاوة القرآن بالالحان

قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري عن ابي هريرة واحمد وابو داود وابن حبان والحاكم عن سعد ، وابو داود عن ابي لبابة بن عبد المنذر والحاكم عن ابن عباس وعائشة . وروى الحاكم من حديث البراء بن عازب وصححه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « زينوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »

وقد ذهب بعض العلماء الى ان التغني بالقرآن معناه الاستغناء به عن غيره وهذا غير صحيح بدليل حديث ابي هريرة المتفق عليه في الصحيحين ومسند احمد وسنن ابي داود والنسائي « ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » فأي لعلاقة للاستغناء بحسن الصوت . ودليل قول أبي موسى الاشعري للنبي (ص) لما أخبره انه استمع ليلة لقراءته « لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا »

على ان علماء السلف قد اختلفوا في هذه المسألة فأنكر قراءة الالحان بعضهم وعرفها آخرون . وقد أورد حجج الفريقين ابن القيم في (زاد المعاد) وجمع بينها

بأن المنكر هو تكلف الالحان الموسيقية ، والتطريبات غير الطبيعية ، والمعروف هو ماأفهمته الطبيعة من التطريب والتحزين والتشويق الى مايشوق اليه ، والتنفير عما ينفر منه ، وهذا هو الصواب الذي يتفق مع حكمة الشرع ومقصد الدين اعني الاهتداء بالقرآن وتدبره والاتعاظ به . ومن شاء التفصيل في ذلك فليراجع كتاب زاد المعاد ، وربما نقلناه في فرصة أخرى ، اذا اقتضته الذكرى

ترتيل القرآن

الترتيل من الرتل (بالتحريك) وهو انتظام الشيء واتساقه وحسن تنضيده يقال ثغر رتل ورتل اذا كانت الاسنان حسنة النظام والتنضيد . فترتيل القرآن عبارة عن تجويد قراءته وايراده من الفم بالسهولة والتمكث وحسن البيان ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به » « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » والغرض من الترتيل الذي ينافي العجلة ويقتضي المكث والتأني هو ان يفهمه السامع كالقارئ ويتمكن كل منهما من تدبره وفهمه ، ويصل تأثيره الى أعماق قلبه ، وحسن الصوت أقدر على اتقان الترتيل ، وتصحيح اللسان أملك لحسن البيان والتجويد ، وأجدر بقوة الافهام والتأثير ، ولما كرهت النغمات المتكلفة ، والالحان المتعملة ، لانها تشغل القارئ والسامع بالصوت والصناعة فيه ، عن تدبر الكلام والاتعاظ به ، فالفرق بين التغني المحمود والتغني المذموم ، والتلحين المعروف والتلحين المنكر ، هو ان المحمود المعروف مايشغل نفسك بالفهم والتدبر ، والاتعاظ والتأثر ، والمذموم المنكر مايشغلها بالصوت ، واتقان الصناعة في اللفظ ، والله أعلم وأحكم

***

﴿ اموال الشركات الاجنبية في بلادنا وحقوق المعاهدين ﴾

(س ٦) من محمد جمال افندي سبط القوادري بدمشق الشام

سؤال موجه الى العلم العامل والمحقق الكامل منار الفضل والعرفان الشيخ رشيد افندي رضى حرسه الله وحفظه آمين

ماقولكم سادتكم في من حقوق الشركات الاجنبية وارباب الامتيازات للمعاهدين من الخليفة الاعظم هل هم معاهدون مستأمنون مصونو الحقوق ام حربيون ؟ وهل يجوز الشرع لاحدهم حقوقهم يدعوى أنهم دخلوا بلادنا واخذوا الامتيازات من حكومتنا قهرا وان كان بالصورة الظاهرة بأمان ورضا افيدونا الجواب ولكم الشكر والثواب

(ج) ان احترام الأجانب المعاهدين او المستأمنين واحترام أموالهم وحرمة

التعدي عليهم أو عليها من المسائل المجمع عليها بين المسلمين المعلومة من الدين بالضرورة فليست مما يسئل عنه أو يستفتى فيه لولا تأويل المضلين . وقد كتب الينا هذا السائل الفاضل كتابا خاصا يعتذر فيه عن سؤاله هذا وبين سببه وهو ان شيخا من شيوخ الدجل معروفا بمظاهرته العامة واتصالهم اليه بذم النصارى والتنفير منهم وتلفيق كتب الاوراد والصلوات والكرامات قد أفتى من يظنون أنه من أهل العلم والتقوى بأن أموال الاجانب الذين في بلادنا مباحة للمسلمين فيجوز لمن قدر على أكل مال شركة الترام اوسكة الحديد او غيرهما من الشركات الاجنبية أو الافراد ان يأكل ما استطاع أكله سواء كان مستخدما فيها اوغير مستخدم . ويتأول الحكم الشرعي المجمع عليه بأن هؤلاء الاجانب معاهدون او مستأمنون في الظاهر ولكنهم حربيون في الواقع لأنهم اخذوا الامتيازات بهذه الشركات من حكومتنا بالجبر والاكراه ، لا بالرضى والاختيار . وهذا هو باطل التأويل ، ومحض الكذب وقول الزور ، فالامتيازات اخذت باختيار الدولة والسلطان الذي كان يقدسه مفتي الاباحة ويضلل مطالبيه بالاصلاح او يكفرهم ، والمعاهدات بين دولتنا ودول اصحاب هذه الشركات لاشك فيها ، والا كانوا محاربين ، ولا حرب بيننا وبين احد منهم (الا الايطاليين الآن) والمصلحة في هذه المعاهدات لنا ظاهرة ، واذا نقض بعضهم شيئا من شروط العهد فليس لاحد من افراد الرعية أن يعده محاربا يستحل ماله ودمه ، وانما ذلك حق للسلطان وأولي الامر ، ولولا ذلك لم يستقم نظام ولم تثبت مصلحة ، ولو كان شرعنا العادل يبيح مثل هذا لما وثقت دولة من دول الارض بعهودنا وأماناتنا ، ولكانت معذورة في الاتحاد على استئصالنا ،

سبحان الله ! جعل الشارع ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، ولعن من أخفر ذمتهم ، كما ورد في حديث علي كرم الله وجهه في الصحيحين والمسند وكتب السنن الثلاثة وغيرها ومن حديث غيره أيضا . ومعنى « يسعى بها أدناهم » أن العبد والاجير من المسلمين اذا أمّن بعض الحربيين وجب على كل مسلم أن يحترم امانه ويحرم عليه ان يتعدى على من أمنه أو يؤذيه في نفسه او ماله . وقال الحافظ ابن المنذر اجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة الا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك قال ان أمر الامان الى الامام (الخليفة) ورد قوله بالحديث ، واشترط ابو حنيفة في العبد ان يكون مقاتلا ليصح تأمينه . واما تأمين آحاد الصناع والزراع فلا خلاف فيه ، ولكن دجال سورية ومفتي الاباحة فيها لا يعتد بتأمين السلطان نفسه ولا بعهده وعهد دولته بل يبيح السرقة والخيانة في الاسلام ، وهما لا يباحان في حال من الاحوال ،

﴿ الدخول في الماسونية ﴾

(من ٧) من السيد احمد بن يوسف الزواوي في (مسقط)

غب اهداء مراسم السلام، والتحية والاحترام، لحضرة الماجد الهمام، والاستاذ الامام، السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المنير، نرفع الى بابه، ونلتمس من ساحة جنابه، كشف ما يحوك في صدورنا عن هذه الجمعية، المدعوة بالماسونية، فقد تضاربت فيها الاقوال، واستحكمت حلقات الجدال وقوى الخلف في شأنها بين العلماء الاعلام، فمن مادح وذام، ومبيح الانتظام، ومفت بانه حرام، الا اننا نرى القائلين بالحظر يكيلون جزافا، ويقتضبون اقتضابا، على حين استناد المبيحين الى أصل الحل، ولما كان الناس لا يقتنعون الا بجوابكم المؤيد بالحجة المذكي على البراهين، نمناكم ولنا وطيد الامل واكبر الرجاء بأن تتحفونا بالجواب الضافي الذيول، الكاشف عن موضوع تلك الجمعية وبرو غرامها نقاب الخفاء، حتى نقدم راضين الرؤس على الانتظام في سلكها، أو نرفضها رفض السقب غرسه ونحمل النفوس على تركها، ولا شك ان يكون كلامكم فصل الخطاب وحاسم النزاع.

(ج) قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوربة لازالة استبداد الملوك وسلطة البابوات وفصل السياسة من الدين بأن يكون التشريع من حقوق الامة غير مقيدة فيه بدين، وقد فعلت في أوربة فعلها وأدت وظيفتها. والذين ينشرونها في الشرق لهم اهواء مختلفة، ومنافع متعددة، والرياسة العامة التي يرجعون اليها أوربية، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها، فقد عرفتم حكم الدخول فيها، وما سبب اختلاف الاقوال في حكم الانتظام في سلكها، الا اختلاف العلم بحقيقتها، ولا ينسى لاهل بلادكم ان يعرفوا هذه الحقيقة لان الذين يدعونهم اليها لا يبينونها لهم، وانما يرغبونهم فيها ترغيبا اجماليا ويعدونهم بكشف الاستار عن الاسرار، بعد الترقي في الدرجات، ولم يقرءوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح، وما يلطخها به خصماؤها — ولا سيما رجال الدين — من القبائح، وربّ مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذما، وقد نشرها الافرنج واعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة الا اعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والموالفة بين المسلمين وغيرهم، وموالاتهم لهم، ولعله تبين لكم بهذا الشرح، كنه ما يمنعكم به من النفع، كما عرفتم ما يحكم به الشرع، وعسى ان يزيل ما بينكم من الخلاف، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد

المسألة الشرقية

(سلسلة مقالات لنا نشرنا ستا منها في المجلد الرابع عشر)

٧

﴿ الجهاد في الاسلام ﴾

يقع الخلاف والنزاع والعداء بين البشر بسوء الفهم أكثر مما يقع بسوء القصد، وأعم أسباب سوء الفهم والتفاهم اختلاف المواضعة والاصطلاح : يطلق زيد القول بمعنى فيفهمه عمرو بمعنى آخر فيؤاخذ زيداً عليه ، ويرى زيد ان قوله لا يقتضي المؤاخذة وهو مصيب في هذا الرأي ، وان عمراً ما آخذه عليه الا لسوء أراده به ، ونية رديئة أضمرها له، والا لم يؤاخذه على الصواب ، وهو مخطئ في هذا الرأي لأن عمراً انما آخذه لانه فهم من قوله ما لم يرد هو به

واختلاف المواضعة والاصطلاح الذي قلنا انه أعم وأكثر أسباب سوء الفهم له مناشئ متعددة ، فان اللفظ الواحد يكون له معنى أو عدة معان في أصل اللغة ، ومعنى آخر في اصطلاح الشرع ، ومعنى آخر أو أكثر في اصطلاح بعض العلوم والفنون ، ومعنى آخر في العرف العام ، ومعنى آخر في العرف الخاص ببلد من البلاد أو طائفة من الطوائف كالكتاب أو الفقهاء مثلا. وقد قال علماؤنا « لا مشاحة في الاصطلاح » وهذه الكلمة تجري دائما على ألسنتنا وأقلامنا ولكن لا يكاد يعامل بها أحد منا غيره . فنحن في مشاحات وملاحاة لا تنقضي . وقد يكون المرء منا معذوراً بجهله باصطلاح الآخر وقد يكون غير معذور ولكن البيان هو الذي يقطع العلات والاعذار

من الالفاظ التي من هذا القبيل لفظ « الجهاد » في الاسلام والظاهر لنا ان بعض النصارى يفهمون ان المراد به اتفاق المسلمين كافة على قتال أو قتل كل من ليس بمسلم سواء كان محاربا لهم أم لا . وهذا المعنى ليس مدلولا له في اللغة العربية ولا في عرف القرآن والسنة ولا في اصطلاح الفقهاء، وربما سرى فهمهم هذا الى بعض المسلمين

الذين يجهلون اللغة والشرع ويأخذون المسائل الدينية من المعاشرين لهم وان لم يكونوا من أهل دينهم وكذا من جرائدهم

ومنهم من يفهم من الجهاد القتال باسم الدين أو لاجل الدين ويقسمون الحرب الى دينية ومدنية ويفرقون بينهما بالتسمية واطلاق لفظ الجهاد على الحرب الدينية فقط ويخصونها بالذم والتشنيع والتنفير . كأنهم الحرب التي يسمونها مدنية من طرق الكسب والتجارة المحمودة ، ويرون أنه لا حرج على من يحارب قوما يستضعفهم ليذيل استقلالهم ويجعلهم كالعبيد المسخرين لابناء جلدته

نشر أحمد لطفي بك السيد مدير (الجريدة) مقالا فيها ذكر فيه ان الحركة الحاضرة بمصر الموجهة لاعانة الدولة العثمانية على حرب ايطالية قد ظهرت بشكل الجهاد الديني أو الدعوة الى الجهاد الديني وان هذا خطأ ضار بمصر . فساء قوله هذا جميع من ذكره أماي من المسلمين ، وسر جميع من ذكره من النصاري . وما رأيت الكتاب والباحثين في السياسة من هؤلاء حمدوا لمدير هذه الجريدة غير هذا المقال . وقد اجتمعت في بعض السمار بطائفة منهم وخضنا في هذه المسألة وكان مما ذكرته أن الجهاد ليس بالمعنى الذي يفهمونه ولا أدري أي معنى قصد به مدير الجريدة ولكنني أجزم بأن اتهام المصريين بالتأليب على النصارى كافة والدعوة الى قتالهم باطل ، ويمكنني أن أحلف على أنني لا عرف أحدا من المسلمين على هذا الرأي ولا سمعت الدعوة اليه ولا استحسانه بل ولا ذكره من أحد منهم . ثم ذكرت معنى الجهاد في اللغة والقرآن ، وورود ذكره في كتب النصارى ، فاقترح علي بعضهم أن أكتبه وأنشره في المؤيد فقبلت الاقتراح ولم أتم ما بدأت بشرحه في السامر

الجهاد والمجاهدة مصدر جاهد وهو بناء مشاركة من مادة الجهد أي التعب والمشقة « ومن هذه المادة الاجتهاد أيضا » وصيغة المشاركة تشعر بأن الجهاد عبارة عن احتمال الجهد والمشقة في مقاومة خصم أو عدو ، فلا يدخل في معناه حرب من لا يحاربه وقتل من لا يقاتل إذ لا مشاركة في ذلك .

قال الراغب في مفرداته التي شرح بها غريب القرآن أدق الشرح ما نصه :

« الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو (تأمل قوله مدافعة) والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس ، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى « ٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده ـ ٩ : ٤٠ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ـ ٨ : ٧٢ ان الذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله » وقال صلى الله عليه وسلم « جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون أعداءكم » المجاهدة تكون باليد واللسان قال ص « جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم » اه كلام الراغب ولا أذكر من أخرج هذين الحديثين ولكن روى الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أنس أن النبي (ص) قال « وجاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » وقد ذكر لفظ الجهاد في القرآن بمعنى المعالجة والمكابدة في مواضع لا تحتمل معنى الحرب كقوله تعالى (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) يعني الوالدين . وأكثر أحكام الحرب ذكرت في القرآن بلفظ القتال لأن لفظ الجهاد ليس نصا في معنى الحرب والقتال ، ولم تذكر مادة الحرب فيه الا قليلا ولم تسند الى المسلمين . وكل ماورد في أحكام القتال في القرآن كان المراد به مدافعة الاعداء الذين يحاربون المسلمين لاجل دينهم منها ما هو صريح في ذلك كقوله تعالى في سورة الحج وهو أول ما نزل في القتال (٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٤٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وقوله في سورة التوبة وهي آخر ما نزل في أحكام القتال (٩ : ١٤ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) قوله أيمانهم بفتح الهمزة ومعناه عهودهم ، وذلك كما فعلت ايطالية الآن فهي من الدول المعاهدة وقد نكثت العهد وبدأتنا بالقتال . ونزل فيما بين هاتين الآيتين آية البقرة (٢ : ١٨٩ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

وما ليس بصريح مثل هذه الآية يمكن أن يحمل عليه بقرينة الحال فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مع من حوله في حرب هم المعتدون فيها وكان يعاهد كل من يقبل معاهدته على ترك الحرب مهما تقبل احتمال الشروط ، وما عاهده أحد من المشركين أو اليهود إلا من علم منهم بأنهم أضعف من المسلمين ثم هم الذين كانوا ينكثون عند ما يشعرون بقدرة ، ويصادفون غرة ، كما فعلت اليهود غير مرة ، وكما فعلت قريش بعد صلح الحديبية

ويحمل على ذلك أيضاً ماورد من النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والالقاء اليهم بالمودة سواء ورد ذلك في المشركين وأهل الكتاب أو عاما كما صرح بذلك في سورة الممتحنة فقد قال تعالى في أولها ٦٠ : ١ (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) أي يخرجونكم من وطنكم مكة ويطاردونكم منها بسبب ايمانكم آمنتم بالله ربكم ، فهذه علة أولى للنهي عن ولايتهم أي نصرتهم وعن مودتهم ، والعلة الثانية بينها في الآية الثانية فقال (٢ ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »

ثم قال بعد آيات (٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فلم يكتف بنفي النهي عن موالاة ومودة غير المقاتلين لنا لاجل ديننا بل أكد لنا حصر النهي في أولئك المقاتلين المعتدين ، وحصر الوعيد فيمن يتولاهم، فان كلمة « انما » للحصر وجملة « فأولئك هم الظالمون» تفيد الحصر أيضاً

هذه جملة أحكام القتال في القرآن المتعلقة بمن يقاتلون وهي في منتهى العدل والحكمة، وبينا أن لفظ الجهاد فيه ليس مرادفاً للحرب والقتال ولكن الفقهاء اصطلحوا على تسمية القتال جهاداً وهذا اللفظ ألطف وأخف من لفظ القتال ولفظ الحرب لان معناه يتحقق ببذل الجهد في مقاومة لا يقتل فيها أحد أحداً ، والقتال ليس كذلك إذ لا يتحقق معناه إلا بسفك الدم

كل هذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وقد زال من دونها كل سحاب، فمن أين صار لفظ الجهاد الاسلامي هو المخيف الدال على الظلم والبغي والوحشية وذبح الابرياء من أهل السلم والولاء ؟ أليس هذا من تعصب غير المسلمين على المسلمين بتشويه محاسن دينهم وتحريف آياته عن مواضعها ، وقلب معانيها وتغيير أوضاعها ، أو من الجهل بها على الاقل

هذا وان لغير المسلمين مع المسلمين أربع حالات ينقسمون بها إلى أربعة أقسام (١) أهل الذمة وهؤلاء يساويهم الاسلام بأهله في الحقوق ويوجب حمايتهم والدفاع عنهم إذا اعتدي عليهم وسد ضروراتهم فاذا وجد فيهم من لا يقدر على قوته كفوه أمره وكذا غير القوت من الضروريات (٢) أهل عهد وميثاق كجميع الدول الآن بعضها مع بعض ماعدا إيطالية مع دولتنا فهؤلاء تجب مسالمتهم والوفاء لهم بعهدهم كما هو حق إنه إذا حاربهم بعض المسلمين غير الداخلين في جماعتنا العامة التي ذكرناها واستنصرونا لا ننصرهم كما في الصورة التي بينها الله تعالى في أواخر سورة الانفال

بقوله (٨ : ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) .

(٣) أهل أمان وهم الذين يكونون أو يدخلون في بلادنا من المحاربين لنا بالامان على أنهم لا يعتدون على أحد ولا يعتدي عليهم أحد ويسمون المستأمنين ويجب الوفاء لهم بالامان

(٤) أهل حرب أو محاربون وأحكامهم طويلة وكل ماثبت منها في الكتاب والسنة فهو مبني على قواعد العدل والرحمة . ومنه أن لا يقاتل إلا من يباشر القتال فيمتنع قتال الشيوخ والولدان والنساء ورجال الدين المنقطعين للعبادة

ومما ورد في ذلك الآية التي أساء في تفسيرها لورد كرومر وكأنه تبعه في ذلك بعض القسوس أو السياسيين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه عمداً ، تعصباً منهم وبغياً ، وهي قوله تعالى (٤٧ : ٤ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) فهذه الآية من آيات الرفق والرحمة في الحرب والمسلمون متفقون على أن المراد بقوله تعالى « لقيتم الذين كفروا » لقيتموهم في المحاربة وحاصل معنى الآية انكم تقتلون من تقدرون على قتله الى أن تظهروا عليهم بالاثخان فيهم فعند ذلك اتركوا القتل ، واكتفوا بالاسر ، وأنتم مخيرون بعد ذلك بين ان تمنوا على الاسرى باطلاقهم فضلا واحسانا ، وبين أن تأخذوا منهم فداءاً . هكذا يكون شأنكم حتى تضع الحرب أوزارها أي أثقالها أوآثامها . قال « ولو يشاء الله لانتصر منكم » فأمركم بعد الظهور عليهم وأثخانهم بقتلهم واستبقائهم ولكنه لم يأمركم بذلك بل أمركم بجعل القتل على قدر الضرورة وهو أن تأمنوا شرهم بالظهور عليهم « ليبلو بعضكم ببعض » أي ليختبر بعضكم ويجربه بمعاملة الآخر بما يخالف هواه ويوافق المصلحة، ويتفق مع العدل والرحمة ، بجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها . هذا هو معنى الآية التي يشوهون بها جهاد الاسلام، وهي شرف يفتخر به بين منصفي الانام

إذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

طال المقال فزاد على ما قدرت له ويمكنني أن أؤلف في هذه المسألة كتاباً حافلا

يفتخر به كل مسلم ، ويخذل به كل منتسب سيء النية والقصد ، وحسبك من القلادة ما زين النحر ،

فاذا كان هذا هو الجهاد والقتال في الاسلام وكان كل ما خالفه من حروب ملوك المسلمين خروجا عن هدي الدين في حروب كلها مدنية لم تقصد بها حماية دعوة الاسلام اذ تركوا الدعوة بعد عصر السلف فلماذا تقوم القيامة على المسلمين كلهم اذا ذكر واحد منهم لفظ الجهاد أو حرفاً مما اشتق منه ، ويعد هذا خطراً على النصارى أصحاب الدول الحربية القوية التي تحميهم وتنصر لهم أينما كانوا ولو بالباطل ؟ ولماذا يحرض غير المسلمين بعضهم بعضاً على سلب ملك المسلمين والتنكيل بهم ، وينفذون ذلك بالفعل ، ولا يعدونه إثماً ولا حرجا ، وانما ينحصر الاثم والحرج في الشكوى منه ، حتى صار المسلمون أنفسهم يحجر بعضهم على بعض أمثال هذه الالفاظ ، التي لا ضرر فيها ولا ضرار ، ولا تدل على جواز ذرة من الظلم والعدوان ؟

لو كان في كتابنا الالهي من القسوة في أحكام الحرب مثل ما في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب لما كتمناه ولما تبرأنا منه كقوله في سفر تثنية الاشتراع (٢٠ : ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما) بل يوجد في أناجيلهم من النصوص القاسية ما لا يوجد في القرآن مثله كرواية لوقا عن المسيح عليه السلام في الفصل التاسع عشر ونصها (٢٧ أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » ولفظ الجهاد المنفوت عند القوم ومقلدتهم لانهم يعدونه اسلامياً يوجد أيضاً في كتبهم كقول مقدسهم بولس (٢ تيم ٢ : ٥ لا ينال أحد الاكاليل الا ويجاهد جهاداً شرعياً) وقوله (١ تيم ٦ : ١٢ جاهد جهاد الايمان الحسن وأمسك بالحياة الابدية التي اليها دعيت) يقولون ان المراد بهذا جهاد النفس والشيطان ، ونحن قد قال علماؤنا مثل هذا في جهاد القرآن كما تقدم ، وكان سلفنا يسمون جهاد النفس الجهاد الاكبر ، وجهاد العدو الجهاد الاصغر ، وروي هذا عن الصحابة رضي الله عنهم

اني أختم مقالي هذا بذكر شيء مما يقال فينا ، وما يحرض به علينا ، وأعيذ المسلمين منذ وجدوا الى اليوم والى آخر الزمان من مثل ذلك

جاء في العدد ٨٤٣ من جريدة (وقت) الروسية التي صدرت في ١٨ سبتمبر (ايلول) بالحساب الشرقي ما ترجمته :

جاء في برقية من بودابست ان فمبري المستشرق المشهور كتب مقالة في جريدة

(بودابست هيرلاب) قال فيها ان حماية الاسلام بعد الآن خطأ لا يفيد فائدة ما، وهو سيفنى البتة ولا يستحق غير الافناء ، المدنية توجب أن تنقرض من ممالك الاسلام عدوة المدنية . المسلمون قوم لا طبيعة لهم ولا يعرفون كلمة الطبيعة، هم يعبدون ولكن لا يعملون ، ولا شيء فيهم من الحياة غير شعورهم الديني ، وليس لهم مسلك (مبدأ) ولا مقصد . ولا ينبغي أن تهتم جد الاهتمام بدستور تركيا فان حالها الآن شر مما كانت عليه ، واحتمال حياة ثلاثمائة مليون مسلم خيال باطل لاشائبة للحقيقة فيه اه

وقد تعجبت جريدة وقت من قول فمبري هذا لانه مشهور بمحبة الترك والمسلمين وقالت انه يجب التأمل فيه ، ونحن نقول اذا كان هذا قول من يحبنا منهم فهل يقول أحد من المبغضين منا بالتعصب وبعض الاغيار مثله أو قريبا منه

يقولون يجب اعدام هؤلاء الملايين من المسلمين باسم المدنية وفي روسية ملايين من النصارى هم أبعد عن المدنية من مسلميها ومسلمي العثمانيين فلماذا يجب لهم البقاء ؟ اذا كان مثال المدنية مافعلته ايطالية فالصلاة والسلام على التوحش والهمجية ،

بل قال بعض أساطين السياسة مثل كلام هذا المستشرق أو أشد ، منهم الاستاذ مكسيليان هاردن صاحب جريدة (زنكفت) النمسوية قال في خطبة له أرسل ملخصها مكاتب التيمس في فينا الى جريدته فنشرت فيها « انه لا توجد دولة تقدر أن تساعد الحركة الحاضرة التي تسوق الاسلام الى الوراء ، ثم قال ان الاسلام دين خطر وبقاؤه خطر واني على رأيي ان كل ولاية أخذت من الاسلام فهي غنيمة للدول الاوروبية »

هكذا يقولون جهرا في خطبهم وجرائدهم ولا نزال نغش أنفسنا بقول الذين يسخرون منا من الافرنج والمتفرنجين بزعمهم ان هذه الحرب لا علاقة لها بالدين ولا يقصد بها المسلمون لاجل دينهم

يقولون المنكر ويفعلونه ويمدحون أنفسهم عليه ، ونقول الحق فنلعن عليه ونهدد ولا ندري ماذا بقي عندهم من التهديد فنخافه ، أولئك عبيد القوة القاهرة ولو أنهم أقوياء لما سموا حقنا باطلا ، بل كانوا يسمون ماربما تدفعنا اليه القوة من الباطل عين الحق ولباب الفضيلة ، والاسلام نفسه هو المظلوم المهضوم بيننا وبينهم ، نحن تركنا هدايته وجنينا عليه ، وهم جعلونا حجة عليه ، حتى أقنعوا أبناءنا الذين تولوا تربيتهم المادية الشهوانية وتعليمهم الفاسد في مدارسنا ومدارسهم بأن يلصقوا ذنوبهم بالاسلام ويصدون عنه على علم أو جهل

اذا عوقب جناة النصارى أو تعقبت عصاباتهم الثورية في مكدونية قامت أوروبة لهم وقعدت ،وأرغت وأزبدت ، واذا أظهرنا التألم من تدمير مدافعهم لبلادنا ،وحصدها لاخواننا ،تلعن على تعصبنا، فالى متى يبغي الاقوياء ، ويخدع الاغبياء ، ربنا افصل بيننا بالحق وأنت خير الفاصلين

في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

﴿ مايجب من اعانة الدولة العلية بانجاد طرابلس الغرب ﴾

سيرت دولة ايطالية أساطيلها كلها وجيشاً عرمرما من جنودها المنظمة الى طرابلس الغرب ،لمحاربتها في البر والبحر ،والاستيلاء عليها بالبغي والقهر ،وإلباسها لباس الخوف والجوع ،وأهانت الدولة العلية صاحبة ذلك القطر بمساومتها في بيعها وحملها بالتهديد والوعيد على الاذعان لاحتلال الجيش الايطالي فيها

طمعت دولة ايطالية المغرورة في تلك البلاد لاهمال دولتها أمرها، وتقصيرها في إقامة المناقل والحصون في برها ، ووضع الحامية القوية فيها ، وفي بث الالغام وأنابيب التدمير في بحرها ، فانقضت عليها بأساطيلها وجنودها ، وصبت عليها حجيم قهرها ، وقطعت عنها موارد الرزق ، في عام وباء ومجاعة وقحط ، فأصبح أهل تلك البلاد يحاربون دولة عاتية، باغية قاسية، لاترحم امرأة ضعيفة ولا شيخاً كبيراً ، ولا طفلا صغيراً ، ويصارعون جوعا دقعوها دقعوا ، ويصابرون وباء سريعا ، فهم أحق خلق الله بعطف الكرماء ، ورحمة الرحماء ،واعانة الواجدين ، واغاثة القادرين

نعم ان الدولة العثمانية هي صاحبة هذه البلاد المرزوءة بقسوة الطامعين ،وهي التي يجب عليها اغاثتها وإمدادها قبل كل أحد ، ولكن حيل بينها وبين انجادها ان ارادته، فلا أسطول قوي تجدها به بحراً ، ولا أوربة تمكنها من إنجادها برا ، واذ كانت الدولة عاجزة عن القيام بهذا الواجب انتقل الوجوب الى من قدر عليه ، وأقدر الناس عليه أهل مصر فصار متحتما عليهم بحق الجوامع الست التي تتعاطف بها الجمعيات البشرية لا بجامعة واحدة منها ، واثنانيين هذه الجوامع الست ونبدأ بالاعم منها فنقول

(الجامعة الاولى الانسانية)

خلق الناس ليعيشوا بالتعاون فهو معيار أرقائهم ، وميزان مدنيتهم ، فكلما عم كانت المدنية أعم ، والارتقاء أشمل ، و « خير الناس أنفعهم للناس » كما ورد ،

والتعاون أسباب أعمها التعارف ، وقد قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وان سهولة طرق المواصلة وتعدد وسائلها زاد في تعارف الناس وتعاونهم ، فلا تقع الآن نكبة كبيرة في قطر من الاقطار إلا ويسارع أهل الاقطار الأخرى الى اغاثة أهله وتخفيف مصيبتهم ، ومن الشواهد القريبة العهد على ذلك عطف المصريين على الايطاليين الذين نكبوا بالزلازل والبراكين في صقلية ومسينى (١) فقد نظمت في ذلك القصائد المرثية المؤثرة ، وجمعت الاعانات المالية ، وأرسلت الى الحكومة الايطالية

لو حكمنا العقل المجرد من الهوى في أحق الناس أن تبذل لهم المعونة ، وتمد اليهم سواعد المساعدة ، أ الذين نكبوا بالجوائح الطبيعية ، أم الذين نكبوا بظلم اخوانهم البشر لهم ، وقهرهم اياهم ، واعتدائهم على حريتهم واستقلالهم ؟ لحكم حكما عادلا بأن هؤلاء المظلومين أحق بالمعونة ، وأجدر بالمساعدة ، ولرأينا من أسباب هذا الحكم (حيثياته) أن مساعدة المظلوم واعانته على ظالمه أكبر خدمة للانسانية وأعظمهم نفعاً للبشر ، لان فائدتها مزدوجة ، ونعني بالمظلوم الذي الظالم بكفه عن ظلمه ومؤاخذته عليه ، وبذلك يقل الظلم والعدوان بين الناس حتى يكونوا اخوة في الانسانية ، وفي هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما ان يك ظالماً فاردده عن ظلمه ، وان يك مظلوما فانصره » رواه بهذا اللفظ الدارمي وابن عساكر عن جابر ، وفي رواية أحمد والبخاري والترمذي عن أنس أنه قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » فسئل قبل اتمام الحديث كيف أنصره ظالماً ؟ قال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره »

فبحق هذه الجامعة يجب على كل انسان يؤثر حب الانسانية على العصبية للفرقة والهوى والطمع المفسدين للاخلاق أن يساعد أهل طرابلس ودولتهم ، على كف ظلم إيطالية وبغيها عنهم ، أو على تخفيف مصيبتهم على الاقل ، ولولا المطامع ، والمبادلة والمعاوضة في المنافع ، لما أقرت أوربة هذه الدولة على بغيها وظلمها ، مع اعتراف المنصفين من جميع شعوبها ببغيها وطغيانها ، وانه ليوجد في كل شعب أوروبي كثيرون من أهل

(١) هكذا ضبطها العرب أيام استعمارهم لها ومن ذلك قول شاعرهم فيها * من ذا يسيني على مسيني * ويقولون الآن مسينا تبعا للافرنج

الانصاف وحب الانسانية ولولا ان حكوماتها وجرائدهم تخادعهم لما كانوا يسكتون عن الانتصار لامثال هؤلاء المظلومين ، على أنه وجد في انكلترا كثيرون قد عرضوا أنفسهم على السفارة العثمانية للتطوع في جيشها الذي يحارب ايطالية ، ومع هذا نرى فينا من ينكر مثل ذلك منا نحن المشاركين لاهل طرابلس في الجوامع الست كلها

(الجامعة الثانية الشرقية)

الناس كلهم اخوة في الانسانية والاخوة قد يختلفون على المنافع ، ويغلب طمع القوي منهم على ما تطالبه به الفطرة وعاطفة الاخوة من التسامح والايثار ، بل من العدل والانصاف ، فيتفرقون ويختصمون ، ويستعين بعضهم على بعض ، ويقع الخصام والعدوان بين الجماعات كما يقع بين الافراد ، وهذا هو السبب في تكوين عصبية الجامعات المختلفة فقد كانت وما زالت الشعوب والقبائل والامم والدول تتحالف وتتحالف ، وتتنازع وتتصارع ، والاصل في هذه العصبيات الاشتراك في الصفات والمقومات التي تقتضي التآلف ومقاومة المخالف فيها كالنسب والوطن واللغة والحكومة والدين والعادات والآداب ، وكلما كان مابه الاشتراك أكثر ، كان التآلف والتعاطف أعم وأشمل ، فالمشتركون في النسب قد يخاصمون الغريب عن نسبهم من أبناء لغتهم ووطنهم ودينهم ، وكذلك أهل الوطن واللغة مع الغريب عنهما المشارك في غيرها مثلا ، وعلى هذا النهج تصغر العصبيات وتكبر

كثر مابه الاشتراك بين أهل أوربة فهم مشتركون في الدين والعادات العامة ، والاحوال الاهلية والاجتماعية ، وطرق الكسب ، وفنون الحرب ، ونظام الحكومة ، وأكثر خواصهم يعرفون من لغاتهم الكبرى مايخاطبون بها مع الآخرين ويقرؤن جرائدهم وكتبهم ، وينقل بعضهم عن بعض في كل يوم كل أمر ذي بال ، وينشرونه للجمهور في جرائدهم ، فيشعر كل شعب منهم بما يشعر به الشعب الآخر من مؤلم أو ملائم ، فهم بهذه الامور كلها عصبية واحدة على من يخالفهم فيها ، وقد اتحدوا بها على المخالفين فصار العالم كله (أو ما يعبر عنه بالعالم القديم اذا استثنينا أمريكة) عصبيتين يعبر عن إحداهما بالغرب ويراد بها أوربة العامة ، وعن الاخرى بالشرق ويراد به آسية وأفريقية المطموع فيهما . وكان الاولى أن يقال الجنوب والشمال مكان الشرق والغرب ولكن لامشاحة في الاصطلاح كما يقال

يرى كثير من الكتاب والمؤرخين أن المراد بالشرق الاسلام وبالغرب النصرانية

ولكن المختبرين من علماء نصارى الشرق الذين عرفوا كنه سياسة أوربة ورأوا سيرتها في مستعمراتها يعلمون ان أوربة تحتقر جميع الشرقيين ولا تعد النصارى منهم أهلا لمساواة الاوربيين في شيء ، وان أية دولة من دولها تستولي على بلاد شرقية تحتقر جميع أهلها ، وتستعلي عليهم بنظمها الجنسية ، لانها ترى أن الاوربي يجب أن يكون سائداً لانه أوربي ، وان الشرقي يجب أن يكون مسوداً لانه شرقي

لا يزال الشرق ضعيف التماسك جاهلا انه مضطهد من الغرب كله وانه يجب عليه التناصر لدفع سيل الغرب الآتي وعدوانه المحتمي ، وقد رأينا الحيين بكنه هاتين الجامعتين من شبان النصارى الاحرار في مصر وسورية يميلون كالمسلمين الى انتصار اليابان الوثنية ، على روسية النصرانية ، يوم وقعت الحرب بينهما ، فاذا مال هؤلاء الاذكياء الى ظفر طرابلس الغرب الشرقية المظلومة ، وانتصارها على إيطالية الغربية الظالمة ، فذلك أولى ، بل لا يكفي أن يميلوا ويعطفوا ، دون أن يساعدوا وينصروا ، فالاقربون أولى بالمعروف

(الجامعة العثمانية)

أهل الولايات العثمانية البحتة والممتازة والمستقلة في ادارتها مختلفون في الاجناس والاديان ، واللغات والعادات ، وليس في استطاعة أهل ولاية منها أن يكونوا دولة قوية تحمي نفسها من أوربة اذا صالت عليها بجيشها وأساطيلها ، ومصر في ذلك كغيرها . فان كانت أغنى وأعلم ، فهي أضعف في الحرب وأعجز ، فمن مصلحة الجميع تأييد الجامعة العثمانية ، واصلاح حال الدولة العلية ، وهذا الاصلاح يتوقف على شكل الحكومة الذي يعبرون عنه باللامركزية ، وهو ما تصير الدولة اليه ، ولا بقاء لها بدونه ، اذا هي سلمت من كيد أوربة لها ، وحالت سياسة التنازع دون التعجيل عليها (سلمها الله تعالى وكفاها كيد الكائدين) وحينئذ تكون الولايات العثمانية كالولايات الجرمانية أو الولايات المتحدة كل منها داخل في ادارتها الداخلية ومشتركة مع سائر الولايات في السياسة العامة وقوة الجيش والاسطول الخ

فعلى العثمانيين في جميع الولايات من جميع العناصر والملل أن يستمسكوا بعروة العثمانية ويبذلوا النفس والنفيس في حفظ كيانها ، وتأييد سلطانها ، والفرصة الآن سانحة فينبغي اغتنامها ، وما ذلك الا بمساعدة أهل طرابلس العثمانيين على حفظ أنفسهم وبلادهم وبقائهم عثمانيين مثلنا ، متصلين في ظل هذه الجامعة بنا ، وأخص غير المسلمين

من العثمانيين بتأييد هذه الجامعة ، واغتنام هذه الفرصة السانحة ، فانهم بذلك يوثقون عرى الاتحاد بينهم وبين اخوانهم في الوطن والعثمانية توثيقا لا تحلل فائدته

أين العقلاء الاذكياء من نصارى السوريين والقبط ومن اليهود ؟ أين الذين يقولون منهم اننا نود أن نجعل الرابطة الوطنية أو السياسية أقوى في أمور الدنيا من الرابطة الدينية ، ألا يعلمون أن ايجاد هذه الرابطة أو توثيقها وتقويتها من نتائج الاعمال ، لا من نتائج الاقوال ، ان كتاب المقطم والاهرام في مصر وبعض كتاب اليهود في جريدتهم (جون ترك) قد أظهروا ميلهم الى الدولة وضلهم على ايطالية ، فشكرنا لهم ذلك ، ولكن لماذا نطق بعض أرباب الاقلام ، وسكت أرباب الاموال ، فلم يسمع لهم صوت بكلمة التبرع لاعانة الحرب يذكر ، ولا لمساعدة جمعية الهلال الاحمر ،

قال بعض غلاة التعصب الديني من السوريين ان النصارى لا يدفعون اعانة في حرب سماها بعض كتاب المصريين جهادا دينيا مع دولة مسيحية ، ولست أرى هذا عذرا صحيحا لمن لم يصل الى درجة الشيخ يوسف الخازن صاحب جريدة الاخبار في بغض المسلمين والتعصب عليهم ، وإغراء الافرنج بهم ، فان دفاع أهل طرابلس الغرب عن أنفسهم يسمى في اللغة العربية وفي اصطلاح الشرع جهادا يوجبه الدين . فاذا كنتم لا تساعدون أهل طرابلس في مصابهم الا اذا غيرنا وضع اللغة وعرف الشرع فانا أنتم بمساعدين ، لان هذا التغيير ليس في استطاعة أحد من العالمين ، على أن اعانة جمعية الهلال الاحمر ليست اعانة لمسلمي طرابلس على مدافعة نصارى ايطالية بل هي انقاذ كل من يمكن انقاذه من الجرحى والمصابين بنكبات هذه الحرب ولو كان ايطاليا باغيا ، ولكنها باسم العثمانية وتحت هلال علمها ، فما بالكم تقبضون أيديكم عنها ،

ان نصارى السوريين المقيمين بمصر وأمريكة هم أرقى السوريين علما وأدبا ، وأكثرهم فضة وذهبا ، وأوسعهم مروءة وكرما ، وأشدهم محبة وشهما ، واني لا أنتظر منهم البرهان الناصع على تأييد الجامعة العثمانية ، وتوثيق الرابطة الوطنية ، بل سمعت هنا حسيس همساتهم ، وخفي مناجاتهم ، يأمرون بينهم ، ويتحفزون للمكرمة اللائقة بهم ، وكاني بها وقد ظهرت في مصر ، وان ظهورها في أمريكة لادل على الفضل والنبل

﴿ جامعة اللغة العربية ﴾

الانسان حيوان ناطق فالنطق أظهر مقوماته التي بها امتاز على سائر أنواع الحيوان ، وارتقى في مدارج العلم والعرفان ، وان صحبتك لمن لا تعرف لغته لا تبعد عن صحبة الحيوان

الاعجم ، فأنس الانسانية والاستفادة من مزاياها بالتعاون لا يتم بالكلام فلهذا كانت اللغة أقوى الروابط بين البشر في المصالح والمنافع والترقي الصوري والمعنوي

رابطة اللغة تشبه نعمة الهواء والماء والصحة في كونها لا يشعر المرء بقيمتها ومنفعتها في حال التمتع بها ، ولا أقول لك تصور فضلها ، بتخيل فقدها ، بل أقول لك تخيل أنك هبطت بلدا لا تعرف لغة أهله ، وأحاطت بك الحيرة من كل جانب في كل معاملة تعاملهم بها ، ثم ظفرت فيه بمن يعرف لغتك ، ماذا يكون قدر سرورك واغتباطك به وحنينك اليه ، واستفادتك منه ، ولا سيما اذا كان من أهلها غير دعي فيها ؟

ان أهل طرابلس الشرب ، لهم على أهل البلاد التي تحيط بهم من الشرق والغرب ، حق جامعة اللغة التي يبذل الاوربيون الملايين لنشرها في جميع بقاع الارض ، وما هي هذه اللغة التي يشاركنا فيها أهل طرابلس ؟ ومن هم أهلها ؟ وما أشهر صفاتهم ؟ تلك اللغة هي العربية الشريفة ، وأهلها هم العرب الكرام الذين اشتهروا في العالم كله بالسخاء والكرم ، حتى صار السخاء العربي والكرم العربي مما يضرب به المثل ، وقد كان من سخاء بعض أجوادنا أن أعطى سيفه لخصمه في الحرب لما طلبه منه ، واختار تعريض نفسه للقتل ، على الامساك والبخل ، ومنا من قيل فيه بحق :

فلو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

فهل يليق بأمة هذا شأنها في الجود والسخاء ، ان يرى أغنياؤها المدافع تحصد اخوانهم ، وتهدم بنيانهم ، والجوع يقتل اطفالهم ونسوانهم ، ولا يواسونهم ببعض ما أنعم الله عليهم من الرزق الواسع ، والمال الكثير ؟

(الجامعة الخامسة جامعة الجوار)

الجوار حقوق كحقوق القرابة قضت بها الفطرة البشرية ، وأيدتها الشريعة الالهية ، فمن شأن الجار أن يشعر بكل ما يشعر به جاره ويشاركه فيما يسر منه وما يسوء ، فاذا فرح أطربه صوت غنائه ، واذا حزن احزنه نشيج بكائه ، وان وقع الحريق في داره ، أصابه شواظ من ناره ، وقد أوصى الله بالجار في كتابه ، وفي حديث الصحيحين والسنن « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه »

ألا وان جوار الشعوب والبلاد ، كجوار البيوت والافراد ، واننا نرى الدول الطامعة قد تواطأت على اعطاء الجار القوي حق سلب جاره الضعيف ، فكانت

انكلترة والروسية ، هما السالبتين لاستقلال الدولة الايرانية ، وفرنسة واسبانية هما السالبتين لاستقلال الحكومة المراكشية

ألا وان لطرابلس الغرب حق الجوار على مصر وتونس ، ومصر أقدر على اعانتها من تونس ، لانها أوسع ثروة وحرية ، ومن مصلحتها السياسية أن لا تستقر قدم ايطالية الغادرة في أرض جارتها وأختها طرابلس لان الايطاليين جيران سوء ، واصحاب بغي وغدر ، فاذا قدر لمصر ان تخرج من سيطرة الانكليز لاتأمن على نفسها والايطاليون في طرابلس من اعتدائهم عليها بمحض البغي والعدوان ، ودعوى انها أحق بها لمصلحة الجوار

(الجامعة السادسة الجامعة الدينية)

الدين هو صاحب السلطان الاعلى على الارواح ، والحاكم المتصرف في العزائم والارادات ، ورابطته أقوى الروابط وجامعته أتم الجامعات ، فالمسلم الهندي الذي لاتجمعه بالمسلم العثماني جامعة نسب ، ولا لغة ولا وطن ، ولا منفعة مادية أو سياسية ، يثار عليه ويألم لألمه ويحزن لمصابه ، مالا يثار ويألم المشارك له فيما عدا الدين من الجامعات ، فلا عتب إذاً على المسلم اذا فضل أخاه البعيد في الاسلام على أخيه القريب في الوطن أو اللغة أو الجنسية السياسية ، وهو يراه أشد حباً له وحدبا وعطفاً وحناناً عليه من هذا الاخ القريب ، ولكن تفضيل ذلك لا يقتضي التقصير في حق هذا

روى أحمد ومسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى الاشعري « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وهذان الحديثان وأمثالهما تفسير لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (رحماء بينهم)

غلب على المسلمين الجهل بدينهم وترك جماهيرهم هدايته ، ومزق نسيج اتحادهم ما كان من اختلافهم في المذاهب : هذا شيعي يعادي سنيا ، وهذا أشعري يعيب حنبلياً ، وهذا جهمي يكفر وهابياً ، * واحكم على العكس بحكم الطرد * ثم مزقته أهواء السياسة وثرثات التفرنج ، بما أحدثت بينهم في هذه الازمان ، من التفرق في الاجناس والاوطان ، ومع هذا كله نرى بصيصاً من ذلك النور الالهي لايزال يلوح

بين أكتافهم مشرقاً من أفق الكتاب العزيز والسنة النبوية ، عند ما تصب عليهم المصائب ، وتتناوبهم النوائب ، فيثورون ، ويصرخون ، ويحرارته يتعاطفون ، فينا نرى التركي يحتقر العربي ويحاربه ، والآخر تارة يناديه وأخرى يواثبه ، اذا بهما بعد هنيهة متحدان يفدي أحدهما شرف الآخر وعقده بدمه وماله . بالأمس كانت السماء تتفجر من سيوف الترك والعرب في اليمن ، واليوم نسمع عرب اليمن ونجد ينادي زيدهم وشافعيهم ووهابيهم الاستانة : اننا مستعدون لبذل انفسنا في سبيل حفظ سيادتك على اخواننا عرب طرابلس الغرب

ان جميع الامم والملل لتعجب من قوة هذه الرابطة الاسلامية على ما وصل اليه المسلمون من التقاطع والجهل ، وان أعداء الاسلام دائبون في اتخاذ الوسائل لتمكث قتلها ، ونقض غزلها ، ولهم من ملاحدة المسلمين أعوان على ذلك ربوهم على كراهة هذه الرابطة الشريفة ، وأقنعوهم بوجوب استبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بها ، فهم يعملون لاعدائهم ولا يشعرون

بهذه الرابطة المقدسة نرى المسلمين يبسطون أيديهم لمساعدة اخوانهم في طرابلس على الدفاع عن أنفسهم ، لا يمنعهم منهم عن المساعدة الا العاجز عنها لفقره أو حيله بطريقها ، أو منع حكومته له منها ، وبهذه الرابطة نعلم الجاهل ، وننبه الغافل ، بل لا ينبهها الا المصائب ، ولا يعلمنا الا النوائب ، فهي التي ستعيد الى الجامعة الدينية قوتها ، حتى تصدر عنها آثارها اللائقة بها ، وما هي الا العدل والفضل ، والمدنية المطهرة من أدران البغي والغدر ، واستباحة الفجور والفسق

* *

كل جامعة من تلك الجامعات الست كافية لبسط اليد في إغاثة أولئك المنكوبين المظلومين ، فكيف اذا اجتمعت كلها وتحققت في مثل مسلمي مصر ؟ أفلا يكون الذي يبخل منهم جانياً على تلك الجامعات كلها : الانسانية والشرقية والدينية والجوارية واللغوية والاسلامية ؟ بلى . فيا أيها المسلمون — وأخص مسلمي مصر بالذكر — أنتم أهل النجدة ، وأجدر الناس بتفريج هذه الشدة ، اعلموا ان لله عليكم فيما أوجبه من زكاة أموالكم سهما للمجاهدين في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل . وأفضل الجهاد الدفاع عن النفس والوطن ، ومقاومة البغي والعدوان ، وهو ما وجب على اخوانكم وجيرانكم من أهل طرابلس . فأعينوهم يعنكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

أيها المسلمون ان دينكم يوجب عليكم اغاثة المضطر ولو كان كافراً غير محارب

لكم ، بل يوجب عليكم اغاثة الحيوانات المضطرة الى القوت وكل ما يفيها الهلاك ، وقال نبيكم صلى الله عليه وسلم « في كل ذات كبد حرى أجر » (رواه احمد وابن ماجة بسند صحيح) فما بالكم إذا كان المضطر من اخوانكم وجيرانكم كأهالي طرابلس الغرب ، الذين قطعت ايطالية عنهم جميع موارد الرزق ، « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا » فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

١٠

﴿ خاتمة المقالات ، شجون ومحاورات ﴾

لكل شيء مادح وقادح ، ولكل كلام مقرظ ومنتقد ، ولقد رأيت أن أختم هذا المقال بشكر الراضين عن مقالات المسألة الشرقية ، والاعتذار عما اقترحوا ، وتفصيل القول في نقد الناقدين والعفو عما اجترحوا

رأيت أكثر من عرفت راضين عن هذه المقالات ناقلين أحاديث الرضاء بل الاطراء عن غيرهم ، معتقدين أنها مثلت الحقيقة ، وبينت الطريقة ، واقترح بعضهم ترجمتها ونشرها ببعض اللغات الاوربية ، وبعضهم طبعها على حدتها باللغة العربية ، شافهنا بذلك كثيرون ، وكاتبنا به قليلون ، فنشكر لهم ذلك ونعتذر عن طبعها على حدتها ، ولكننا ننشرها في مجلتنا (المنار) وعن ترجمتها ولكننا نأذن بالترجمة وطبعها بغير العربية لمن شاء ذلك

أما الساخطون فهم أعداء الدولة والملة ، وأنصار ايطالية الباغية ، وأما المنتقدون فنهم المخلص في انتقاده ، المستقل في رأيه مع احترام رأي غيره ، ومنهم غير ذلك ، وقد كانت تظهر أمارات وعبارات السخط من بعض الجرائد الافرنجية وجريدة (الاخبار) العربية ، وكتب البنارئيس جمعية قبطية (بأبي حنظل ومصر والاسكندرية) كتابا قال فيه : « خط يراعك كلمة شاهت يد كاتبها الذي يصف قوما أعزاء كراما وصفوا بالصلاح والتقوى والانسانية (لا التوحش كما تقول) وحب الخير (يعني الايطاليين) بأنهم متوحشون وانك تعلم أيها الفيلسوف الكبير انه لا يقدر على الحكم على قوم الا من كان منهم (؟) وان تكن اساءة الدخيل الذي أوجدناه من العدم (؟) وفتحنا

له صدورنا ورفعنا له اسما ومناراً لاتحتمل(١)!! ثم قال الكاتب انه يعفو عن ذنبي هذا الذي أسأت به الى المصريين (بزعمه) وأنا دخيل فيهم . هذا ملخص ما كتبه والعقلاء المنصفون يعرفون أينا أحق بالعفو عن اساءته الى الآخر ، وقد ظهر بعد أن أشرنا الى وحشية الايطاليين بزمن غير بعيد ان الجرائد في جميع الممالك الاوربية والامريكية وافقتنا على قولنا وأيدته بروايات مراسليها في طرابلس الغرب ، وبتصويرها لعدوانهم الوحشي على النساء والاطفال والشيوخ وتقتيلهم والتمثيل بهم . وانني قد عفوت عن ذلك الساخط الساخر السافل الشاتم ، بعد أن ظهر انني على الحق وهو على الباطل

وبعد هذا وذاك أذكر جميع ما بلغني من الانتقاد في محاورة مع منتقد وهو من عدة مصادر وأجيب عنه : قال لي صديق لا أرتاب في اخلاصه انك قد اشتهرت في الاعتدال فيما تكتب وأراك قد بالغت في هذه المقالات — أو قال تطرفت — حتى شايعت العلم والمؤيد في ذكر الجهاد والحرب الدينية وأتيت باللائمة على أوربة كلها وهذه السياسة ضارة بنا

فقلت له ان صورة البغي المنكرة التي فاجأتنا بها ايطالية قد كانت صاخة أصمت المسامع ، وقارعة صدعت القلوب ، وان ما تضمنته من مخالفة حقوق الدول وابطال العهود الضامنة لسلامة دولتنا ، وما أجابت به الدول الكبرى حكومتنا حين راجعتها في ذلك من أنها على الحياد ، لاتعارض ايطالية في نسخ القانون الدولي وابطال المعاهدات ، كل من هذا الجواب وذلك العدوان الصريح قد دلنا وأشعرنا بأننا مهددون بزوال دولتنا ، وذهاب مابقي من ملكنا ، وبأن القوم قد اتفقوا على حل المسألة الشرقية حلا سريعاً حالا اذا لم يروا فينا من الحياة ولوازمها ما يقتضي التلبث في ذلك والرجوع عنه ، فقل لي بحقك ماذا يخاف الذي أنذر بزواله من الوجود اذا هو دافع عن نفسه بكل ما يستطيع ؟ أليس كل ما دون الزوال أسهل منه ؟ ألم يصدق علينا في هذه الحال ، قول شاعرنا الذي سار مسير الامثال « أنا الغريق فما خوفي من البلل » ؟ بلى انني بتأثير هذه القارعة التي ظهر أن أوربة متفقة عليها أردت أن أبين لاوربة نفسها ولجميع العثمانيين والمسلمين أننا نعتقد أن أوربة كلها تكون خصما لنا اذا ساعدت

(١) المنار : لم يشترك القبط في المنار ولم يساعد أحدهم صاحبه في شيء ولم يسمع من أحد منهم كلمة خير فيه الا شتم جرائدهم له وهو لم يذكر أحدا منهم بسوء ، فكيف لايخجل قائلهم من مثل ماقال وهو مالا يقوله صادق من المسلمين ؟

ايطالية علينا ، ومكنتها من كل ماتريده من البغي والعدوان على بلادنا

كتبت هذا معتقدا أن تذكير المسلمين في جميع بقاع الارض بما أوجبه الاسلام في مثل هذه الحال ، وظهوره أثر هذا التذكير فيهم — هو أرجى ماترجو من أسباب حذر أوربة من مساعدة ايطالية على كل ماتريد من بغيها ، واستمالة الدول الذي يهمها ارضاء المسلمين وحسن اعتقادهم فيها ، وأولاهن بذلك انكلترة ثم فرنسة وروسية المتفقتين معها في السياسة والمصلحة ، وكل واحدة من هذه الدول الثلاث مستولية على عشرات الملايين من المسلمين . وقد صرحت بمقصدي هذا في المقالات الاولى ولم أقطع الامل من مساعدة كل الدول

قال صديقي المنتقد ان المسلمين الرازحين تحت سيطرة هذه الدول كلهم ضعفاء بالجهل والتفرق فالدول اذا أرادت انفاذ هذا الامر (حل المسألة الشرقية) لاتبالي رضاهم ولا سخطهم ، إذ لايستطيعون أن يعملوا شيئا ، قلت اني لا أرى هذا الرأي بل أنها تبالي وتهتم أشد الاهتمام برضاهم ، وتحسب ألف حساب لسخطهم ، اذا كان سببه اعتقادهم أنها تريد ازالة دولة الخلافة وابطال حكم الاسلام من الارض

ان رأيك هذا يشبه رأي لطفي بك السيد مدير الجريدة إذ قال إن اظهار مسلمي مصر لعواطف الميل الى الدولة العلية واعانة أهل طرابلس على حرب عدوهم ينافي مصلحة مصر ، فهو من ترجيح سياسة العواطف على سياسة المنافع ، التي تتبعها كل العقلاء من أمم المدنية ودولها ، وأنا أرى ان العواطف والمنافع متفقة في هذه الحال فاذا جرى جميع المسلمين على ماطالب لطفي بك به المصريين ، وعلمت دول أوربة أن تقسيم بلاد الدولة العثمانية يفهن لايهيج لمسلم عاطفة ، بل يرى كل شعب منهم أن رضاه يزول هذه الدولة عين المنفعة له والمصلحة ، فانها لاتثبت بقسمة هذه البلاد الاربعا تتفق على توزيع الحصص ، وليت شعري ماهي المنفعة التي تنالها مصر من هذا التقسيم ، وما وجه الرجاء في بقاء غرفة واحدة من غرف دار قامت من أساسها ، وخرت سقوفها على أهلها ، وأتاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، وعن أيمانهم وشمائلهم ،

قال المنتقد : أما ينبغي ان نخاف أن تشدد أوربة وطأتها على المسلمين ، اذا هم أظهروا العطف على الدولة بباعث الدين ؟ قلت انني لا أرى هذا الخوف في محله ولو فعلت أوربة ذلك لكان أنفع للمسلمين ، فانه لاشيء يربي الامم ويجمع كلمتها مثل الضغط عليها في وقت تهيج شعورها ، ومصادرتها فيما يتعلق باعتقادها ، على أن كل بلاء يمكن أن يحل بالمسلمين في مثل هذه الحال يجب أن يحتمل في سبيل الدفاع

عن كيان الدولة كما فهمت من جوابي السابق. — الخوف من الذل مجلبة للذل ، وانما السلامة في الشجاعة لا في الجبن ، ولكن

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وذلك خديعة الطبع اللئيم

وأقول الآن ان ماجرينا عليه ، ووجهنا القوم اليه ، من كون عدوان ايطالية يعد طرقا لباب المسألة الشرقية، قد ذكر بعد ذلك في كثير من الصحف الشرقية والغربية . وان ما ارتأيناه من تحريك شعور المسلمين لاتقاء الخطر به قد وافقنا فيه العارفون بالسياسة من المسلمين المقيمين الآن في عواصم أوربة ومسلمي الهند وتونس وغيرهم، وأشهر هؤلاء القاضي أمير علي الشهير. وكان من مسلمي الهند ورأس الرجاء الصالح ان عقدوا الاجتماعات الكثيرة لاظهار استيائهم وتألمهم لحكومتهم ومطالبتها بالسعي الى منع هذه الحرب الجائرة ومساعدة الدولة العلية

وكان من تأثير ذلك ان انكلترة لم تضغط على مسلمي مصر ، وفرنسة لم تضغط على مسلمي تونس والجزائر ، ولم تمنعهم هذه ولا تلك من جمع الاعانات لاخوانهم مسلمي طرابلس حتى ان جرائد ايطالية قد رفعت عقيرتها بالشكوى من هاتين الدولتين وطالبتهما بالتشدد في منع انجاد طرابلس وبنغازي من تونس ومصر (١

بل كان من تأثير ذلك ماهو أعظم مما ذكرنا وهو ظهور مبادىء الاتفاق بين دولتنا وانكلترة بارسال سلطاننا أكبر أنجاله ضياء الدين أفندي لتحية ملك وملكة الانكليز في سفينتهما التي تحملهما الى الهند عند وصولهما الى ثغر بورسعيد ذاهبين الى الهند بقصد الاحتفال في عاصمتها القديمة دهلي بنصب الملك امبراطورا على الهند . وكان لقاء وقد تجلى سلطاننا لملك الانكليز مع أميرنا خديو مصر بالغا منتهى الوداد اللائق بالزائر والمزور ، وجواب الملك عن كتاب السلطان ، وخطبته في مقابلة خطبة نجله ، واهداؤه الوسام الخاص بأسرة الملك الى هذا النجل السعيد بعد الزيارة — كل ذلك قد بشرنا بقرب تحقق ما أشرنا به من استمالة دول الاتفاق الثلاثي الينا وفي مقدمتهم انكلترة (٢ وهذا ماصرحنا به في أوائل هذه المقالات منذ شهرين كاملين

وجملة القول اننا رأينا العدوان من ايطالية إحدى دعائم التحالف الثلاثي ، ورأينا

(١) بعد كتابة هذه المقالة شددت الحكومة المصرية بايعاز الانكليز في المحافظة على حدود مصر من الشرق والغرب ، لئلا يتسرب شيء الى بنغازي مما يسمونه مهربات الحرب ، حتى ضايقت التجار والمسافرين ، ثم انها عادت الى اللين ، (٢) لما يتحقق ذلك ولن يتحقق مادامت جمعية الاتحاد تتصرف بالدولة

دول التواد الثلاثي قد سكتن لها ، ولم يجبن نداءنا وطلبنا المحافظة على القوانين والمعاهدات الدولية ، فصحنا من شدة الالم أن أوربة كلها متفقة علينا ، واستصرخنا الشعور الاسلامي وذكرناه بالخطر على ما بقي للاسلام من السلطة ، لنستعين بذلك على استمالة انكلترة ووديدتيها الى مساعدتنا ، ودفع الخطر الاكبر عنا ، ولما قيل لنا أن الدول حصرت الحرب في طرابلس الغرب ورأينا مبادىء الرجاء في انكلترة وغيرها تومض أمامنا ، سكتنا عن الشكوى من أوربة كلها ، ولم نشرح ما كنا عزمنا على شرحه

قال المنتقد انك قد صبغت المسألة الشرقية بصبغة الدين فجعلتها كالحروب الصليبية كما تقول جريدة العلم المتطرفة المغالية وهي مسألة سياسية كان ينبغي أن نستصرخ فيها العثمانيين خاصة ، فاتفاق المعتدلين بذلك مع المتطرفين على صبغ هذه الحرب بصبغة الدين قد أخاف نصارى بلادنا أن يتضمن ذلك التحريض عليهم والايقاع بهم ، فيجب الاقلاع عن تسمية هذه الحرب بالجهاد وجعلها دينية فانها ليست الا سياسية

قلت انني قلما أقرأ جريدة العلم وقلما أراها فانا لا أدري ماهو حكمها في هذه المسئلة وأرى أننا اذا جعلنا حربنا لايطالية دينية فذلك خير لايطالية ولجميع البشر لا لنصارى بلادنا فقط ، وليت ايطالية نفسها تتبع أحكام الاسلام في الجهاد فان القاعدة الاساسية عندنا في ذلك هي قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » فلا يجوز لنا أن نقاتل غير المعتدي علينا . والمعتدي هو المحارب لا جميع أهل جنسه فلا يجوز لنا أن نقاتل من الايطاليين أنفسهم من لا يقاتلون كالرهبان والنساء والشيوخ والولدان . وايطالية لا تبقي على أحد من هؤلاء ولا تذر إلا من تعجز عن الوصول اليه ، وأما الحرب الدينية والجهاد الذي معناه أن يقاتل انسان كل من يخالفه في الدين وان كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً فهذا معنى بثته أوربة في الشرق بحروبها الصليبية ولم يقل أحد من المسلمين به ، ولو تجردنا من أحكام الدين لاستبحنا في هذه الحرب كل ما نقدر عليه من ايذاء خصمنا والاسلام لا يبيح لنا كل ذلك

قال المنتقد ان النصارى لا يفهمون الجهاد الديني في الاسلام بمعناه الشرعي الذي نفيه بل يفهمون عنه ما هو مشهور عندهم وكثير من عوام المسلمين يفهمون منه مثل فهمهم فيجب أن لا يذكر الدين والاسلام في الكلام عن هذه الحرب لاجل ذلك

قلت انني قد بينت حكم الاسلام وانه لا يجيز لنا أن نقاتل في هذه الحرب غير العسكر الايطالي وسأزيد ذلك بيانا في مقالة خاصة (وكان هذا قبل كتابة مقالة « الجهاد في الاسلام » في الشهر الماضي) ومهما قال المسلم منا فهو لا يمكن أن يرضي بعض المتعصبين منهم، الذين يحسبون كل صيحة عليهم، أو يدّعون ذلك لتحريض أوربة علينا كصاحب جريدة (الاخبار) ، ولو شئت لنقلت من كلام نصارى الشرق والغرب ما صرحوا به من كون المسألة الشرقية مسألة دينية كقول أمين شميل (شقيق صديقنا الدكتور شميل) في كتابه الوافي ان هذه المسألة ولدت بولادة نبي الاسلام ، وترعرعت من ابتداء ترعرع ملك خلفائه الى الآن . وعندي نقول كثيرة عن الاوربيين في ذلك لا أحب الآن أن أنشرها ، ونسأل الله أن يكفينا شرها

لا يسع أحداً أن ينكر ان المراد من هذه المسألة أن لا يبقى للمسلمين ملك على وجه الارض ، فاذا فرضنا ان هذا لا يضر الاسلام في عباداته ، فهل يقول عاقل مسلم أو غير مسلم انه لا يبطل سلطته وأحكامه القضائية والسياسية ؟ كلا ان هذا هو الذي نعنيه بكون المسألة الشرقية عداوة للاسلام وأهله ، غصب أوربة ما سلبت من ملكه، ونقصت من أرضه ، ولتترك لنا هذه البقية القليلة، فان أبت الا الاعتداء عليها، وجب أن نبين لها اننا عارفون مستيقظون، وان لا تلومنا هي على ما نفعل للمحافظة على هذا الذماء ، فهل يصح أن نلوم نحن أنفسنا ، ونتخاذل في المحافظة على رمقنا ؟

ولا يمنعنا السعي لذلك أن نستصرخ سائر الشعوب الشرقية ونتعاون معها سرا أو جهراً على هذا الدفاع الشريف ، فكلما اعتدي على قطر اسلامي تحرك شعور المسلمين باسم الاسلام ، وتحرك شعور غيرهم من الشرقيين باسم الشرق ، ونحب أن تكفينا أوربة مؤنة ذلك بمنع بعضها بعضا عن الاجهاز على الدولة العثمانية والدولة الايرانية ، واطلاق حرية الدين والعلم والاجتماع في البلاد الاسلامية التي أدخلتها في حمايتها كمراكش وتونس وزنجبار وفي البلاد التي ضمتها الى مستعمراتها كالجزائر وجاوه

اننا الآن بين الخوف من أوربة والرجاء فيها ، والرجاء في انكلترة أقوى كما بينت ذلك في المقالات السابقة ، ومن أسباب قوة الرجاء فيها ما ظهر من التوادد بين المسلمين والوثنيين في الهند منذ ظهر عدوان ايطالية بعد اشتداد العداوة بينهم في السنين الاخيرة لمخالفة المسلمين الهندوس فيما يقاومون به الحكومة الانكليزية وانني أورد في هذا المقام جملة من كتاب خاص كتبه الي سائح من حيدرابا د الدكن بعد ما ساح في كثير من تلك الممالك . قال :

« أفيدكم ان الهند كلها بقضها وقضيضها، مسلمها على اختلاف نحلهم ، وكفارها على تشعب ملهم ، لا أستثني غير الاوربيين ومبتي الشعور من همج الهنج واشباههم، قد تيقظوا وتحسسوا أشد التيقظ والتحسس لما صار من ايطالية في الترك ، وقد عقدت المؤتمرات العديدة وأرسلت الاحتجاجات ولا حديث للقوم الا في هذه المسألة، وهم لا يفهمون منها الا أنها عداء من أوربة لآسية، وظلم من القوي للضعيف ، ودرس في التعصب يجب على الشرقي حفظه في سويداء قلبه ، لا خلاف في ذلك بين مسلم وبين برهمي أو مجوسي أو وثني ، حتى لقد أنسى القوم ما بينهم من الاحن والحزازات

« وتتجلى هذه المظاهر بأتم وضوح في البلاد التي تحكمها الانكليز مباشرة ، وهي أقل ظهوراً فيما تحكمه مهراجات الهندوس، وهي أقل في الممالك المحكومة بأمراء (نواب) مسلمين ، ولعل السبب في هذا هو خوف هؤلاء من غول التعصب الذي يقذفهم به الاجانب عند كل صغيرة وكبيرة »

« ولو كان المنار صحيفة أخبارية لاطلت النفس وشرحت له الاخبار. ثم ان ما صار وظهر في جميع أقطار الهند من هذه الحركة المباركة لما أفزع رجال الانكليز وحسبوا له ألف حساب ، واذا لم ترضهم الانكليز بأفعالها ـ لان دور الارضاء بالاقوال قد ذهب ـ لتندمن حيث لا ينفع الندم ، وستكون بسلمها إذ ذاك جامعة لكفار الهند ومسلميها ، وفي ذلك من الضرر عليها ما تعرفه هي أكثر من غيرها ولا يرضاه لها محبوها ومحبو الانسانية ، سيما مع قرب موعد الدربار (الاحتفال بلباس الملك تاج امبراطورية الهند، وفي العبارة ما يدل على ميل الكاتب الى انكلترة)

نعم ان رجال ساستها يزعمون أن اتفاق المسلمين مع الهندوس مضر بالمسلمين لانهم الآن نحو مائة مليون نفس فقط (أي بحسب احصاء هذا العام الذي لما يعلن رسميا) مع ان الهندوس أكثر من ضعفيهم ، ولكن هل درى ساداتنا الساسة ان المسلمين قد حكموا الهندوس في وقت لم يكونوا فيه الا نحو خمسة في المائة ؟ ثم زاد الآن عدد المسلمين مع مغلوبيتهم كما تضاعف عددهم بالصين كذلك ، فلهذا لا يعلق المسلمون كبير أهمية على نحو هذا ، وانهم لكما كانوا شجاعة وشدة ، وأكثر مما كانوا علما وحبا للاسلام واستماتة في نصره « وما راء كمن سمع »

« ان أهل الهند لم يروا من آثار الترك سوى الطرابيش الجلوبة من الخارج ولو كان للترك في الهند مدارس عالية كما لأكثر الدول في سائر القارات لكان نفوذ الدولة هناك مما ترجف له أعصاب أعدائها ، واني أنصح للدولة بأن لا تبقي جهدا

في فتح مدارس دينية علمية في جميع الاقطار التي خضعت لغير الاجنبي وبها مسلمون وان ضعفت ماليتها وكلفها هذا الاقتراح ما كلفها ، فلا بد دون الشهد من ابر النحل » اه

هذا ما كتبه الينا السائح الذكي الذي نعلم من سياسته الميل الى اتفاق مسلمي الهند مع حكومتهم دون الاتفاق مع أهل وطنهم عليها ، ولكنه مسلم قبل كل شيء ولو كره المتفرنجون المفتونون بالجنسية ، أما اقتراحه على الدولة فما هو بالذي يسمع ولا الدولة بقادرة عليه لاقلة المال ، بل لعدم الرجال ، وأقرب منه أن تنشئ الدولة هذه المدارس العالية في الحرمين الشريفين أو تسمح للقادرين على انشائها من المسلمين بذلك من أموالهم ، ويكون لها الغنم ، وعليهم الجهد والغرم

(النتيجة العامة) ان مقالاتنا في المسئلة الشرقية لم نقصد بها الا ما ذكرنا من دفع الخطر عن دولتنا وأمتنا ، وقد دعونا فيها غير المسلمين من أهل مملكتنا لمشاركتنا في هذا الدفاع عن الدولة من حيث الجامعة العثمانية ، كما دعونا فيها المسلمين الى مشاركتنا من حيث الجامعة الاسلامية ، والشرقيين الى مساعدتنا من حيث الجامعة الشرقية ، وان غير المسلمين من العثمانيين لم يكونوا أشد غيرة وحدبا علينا من وثني الهند ، ومع هذا كله لا ندعو الا الى تقوية الرابطة بهم ، وحفظ الحقوق الوطنية بيننا وبينهم ، ونحن مع من يساعدنا من الاوربيين ، ولا ينكر علينا أحد اننا نشكر للمحسن احسانه ، ونعرف لصاحب الجميل جميله ولا ننكره ، بدليل تودداً الى انكلترة مع جفوتها لنا زمنا طويلا ، ونحمل ذنب هذه الجفوة على سلطاننا السابق بتوددة الى خصيمتها ألمانية . فهذه هي سياستنا فمن أنكر علينا منها شيئاً فليبده لنجيب عنه بالانصاف وقواعد العقل ، والسلام على من اتبع الهدى ، ورجح العقل على الهوى

٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩

(المنار) بعد أن نشرنا هذه المقالة في المؤيد تذكرنا أن جريدة معروفة بالتعصب على المسلمين حتى لايطالية في عدوانها وبغيها قد أنكرت علينا كلمتين من تلك المقالات ، ولما كنا نتحرى الادب والحق في كلامنا وان لا يوجد فيه ما ينكره الخصم وان نظر اليه بعين السخط كتبنا الاستدراك الآتي

﴿ استدراك في الانتقاد على مقالات المسألة الشرقية ﴾

انني أتحامى بطبعي وسجيتي كل ما تأباه مصلحة الارتباط بيننا وبين أهل الملل التي تشاركنا في وطننا ، وكل مالا يرضاه الذوق والادب في التعبير عن الحقائق التي أعتقدها ، وان من القوم من ينظر في كلام كل كاتب مسلم بعين السخط من وراء نظارة مكبرة ، ولم يصل اليّ من الانتقاد على هذه المقالات الطويلة الا انكار بعض هؤلاء الذين يجعلون الحبة قبة عبارتين اثنتين أذكرهما وأجيب عنهما

إحداهما نقلي لقول الفقهاء الذي أتوقع أن يبلغه شيوخ السنوسية للناس حيث الحرب تشتعل نيرانها ، وهو ان الكفار اذا دخلوا دار الاسلام فالتحيز وجب على كل مسلم فيها مدافعتهم . قال الساخط أنني عبرت عن الايطاليين بالكفار وهم أهل كتاب وعد هذا اهانة لجميع المشاركين لهم في دينهم

وانني أجيب عن هذا بانني نشرت في الاعداد الاولى من السنة الاولى للمنار نبذا متسلسلة في بيان اصطلاحات كتاب العصر بينت في الاولى منها وهي في العدد الاول ان لفظ الكفر قد أطلق في الشرع على مايقابل الايمان والاسلام ولم يرد بهذا الاطلاق الاهانة ولا السب والشتم لان اللفظ لايدل في اللغة على شيء قبيح ولا معيب فان معناه العام هو الستر والتغطية ولذلك سمي الليل كافراً والبحر كافراً ، واطلق في القرآن الكريم لفظ الكفار على الزراع لانهم يكفرون الحب بالتراب أي يسترونه ، وذلك قوله تعالى « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ثم بينت بعد ذلك ان هذا اللفظ صار في عرف أهل هذا العصر مرادفاً للالحاد والتعطيل وصار يعد من ألفاظ السب والاهانة ، وافتيت بحرمة اطلاقه في التخاطب على من حرم الاسلام إيذاءهم كالذميين والمعاهدين ، وقلت مثل هذا الافتاء عن بعض الفقهاء . ولكن هذا لايمنعنا من ذكر الاصطلاحات الشرعية في كتبها وعند البحث فيها كما هي ، ومن هذا الباب العبارة الفقهية التي انتقدها الساخط هنا ، على أن الحربيين كالايطاليين لايجب علينا مجاملتهم في الخطاب والتعبير عنهم ولا تجنب إيذائهم كما يجب مثل هذا في خطاب الذميين والمعاهدين

يشبه هذا الانتقاد ان كان عن جهل بالاصطلاح مارأيته في بعض جرائد السوريين في أمريكة من انكار ذكر الجرائد التركية لفظ الملة والامور الملية ظناً من المنتقد

أنهم يعنون بالملة الدين وانما يعنون به الامة ، وما رأيته في بعضها من استنكار عزل شيخ الاسلام لبعض النواب قلنا من الكاتب ان المراد بهم المبعوثون

والعبارة الثانية هي ذكر البغايا مع الخمارين والمقامرين والتجار والقسوس ووكلاء الدول في سياق ما أصابنا من ضرر هذه الاصناف في أموالنا وآدابنا وسياستنا ودينا. وانني تروّيت في كتابة تلك العبارة خشية أن يكون فيها سوء أدب ، وبعد التروي رأيت مثل هذا في أبلغ الكلام وأنزهه ، رأيت ذكر اسم الجلالة الكريم في الآيات التي فيها ذكر الشيطان اللعين ، وذكر الطيبين والطيبات ، مع الخبيثين والخبيثات ، معطوفا بعضهم على بعض ، وقال الشاعر

ثلاثة تشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

فذكر أولئك الاصناف من قبيل الاشياء المذكورة في البيت ، أي ان كل صنف منها آذانا نوعاً من الايذاء وان كان لكل منها مقاما في نفسه ليس للآخر ، كما ان العرس ضد المأتم ، وانما ذكرا معاً لان في كل منهما ضرراً مالياً لما اعتيد فيهما من الاسراف ، وفي الزار أيضاً ضرر مالي وهو مع ذلك معيب مذموم عند أهل الدين والعقل . فهل يقول أحد ان الشاعر جعل هذه الثلاثة في مرتبة واحدة من كل وجه ؟؟

كلا ان الذي انتقد تلك العبارة وعابها هو معروف بسوء القصد وتتبع العثرات واستقراء الزلات في أقوال المسلمين المشهورين وأفعالهم ، وهو معهم من الذين قال فيهم الشاعر

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

فهو لما لم يجد في مقالات المسألة الشرقية كلمة يستدل بها على ما يرمي به كل كاتب مسلم يغار على ملته من التعصب وتحقير النصارى والاغراء بهم زعم انني أهنتهم باهانة إيطالية لانني قلت ان السنوسية سيقولون للناس ان دفاع الكفار وصدهم عن المسلمين اذا دخلوا بلادهم مقاتلين فرض عين ، ولانني ذكرت وكلاء الدول والقسوس في سياق ذكرت فيه أصحاب الحانات والقمار ! ! ولو لم يخدع بكلامه بعض القوم ويشر اليه بعض دعاة النصرانية في مقالة له ومالي فيها بالخروج عن الادب معهم في بعض العبارات ، لما كتبت هذه الكلمات في بيان ان تلك العبارة ليس فيها شيء من سوء الادب لأن مثلها معهود في افصح الكلام العربي وأنزهه . وهب ان فيها شيئا من ذلك فانا بريء من القصد اليه وتعمده لانني اكرم نفسي وأربأ بها ان تأتي ذلك